الفصل الثاني

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

العرب والقضية الفلسطينية

كان القرار الجائر الذي أصدرته الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية هو أفضل الحلول المطروحة حينئذ بسبب ضعف العرب وتشتتهم وقوة عدوهم وتماسكه وتواطؤ القوى العظمى مع إسرائيل وفشل كل الجهود الدبلوماسية في التوصل لأفضل منه وكان الواجب العربي يحتم – إذا خلصت النوايا – أن تقام دولة فلسطين على ما تبقى من أراضي فلسطينية وهو ما كان يمثل ٤٢.٨٨ % وفقا لقرار التقسيم ، ويسعى العرب جاهدين في دعم هذه الدولة عسكريا وسياسيا واقتصاديا لتكون نداً لدولة إسرائيل .لكن رغبة الملوك العرب (فاروق ، وعبد الله) في توسيع ممالكهم على حساب الأراضي الفلسطينية وعامل الوصاية على الشعب الفلسطيني قد قضى على إقامة دولة فلسطينية ولو أن الشعب الفلسطيني تمكن من إدارة شئونه بنفسه لتغير وجه التاريخ في هذه المنطقة على الإطلاق ولكان الفلسطينيون يعيشون الآن على حوالي ٤٣ % من أراضي فلسطين بدلا من فشلهم في الحصول على ٢٢% فقط من هذه الأرض الآن !!

ولقد أجبر الجيشُ الإسرائيلي المسلح بأحدث الأسلحة الغربية وتأييد أمريكا ودول الغرب الحكامَ العرب على مهادنة إسرائيل وعدم التفكير في شن أي هجوم على

obeikandl.com

إسرائيل وقد جاءت الحروب الكلامية التي شنها العرب على إسرائيل وأمريكا بديلا عن التفكير في حرب حقيقية وبهذا خرجت الجيوش العربية المنظمة من الصراع العربي / الإسرائيلي . وتفاديا للمواجهة المباشرة مع إسرائيل وحلفائها من الغرب أبدى الرئيس عبد الناصر استعداده لقبول المساعي التي تبذلها تلك الدول من أجل التوصل إلى سلام مع إسرائيل وحرص على أن تظل خطوط الهدنة المصرية الإسرائيلية هادئة [1]

وقد اتبع عبد الناصر منذ حرب السويس سياسة المحافظة على الحدود مع إسرائيل، وصرح عبد الناصر لصحيفة الصاندي تايمز اللندنية بأن سياسته هي بناء القوة الاقتصادية للعالم العربي ورفع مستوى المعيشة فيه إلى أن يجيء الوقت الذي يكون قد وصل إلى التطور تتيح له ممارسة ضغط كاف على الإسرائيليين يحملهم على تفهم عدالة الموقف العربي . [2]

وكان الفكر السائد لدى العناصر الفلسطينية الراديكالية هو دفع الدول العربية إلى الحرب وتصعيد أعمال المقاومة ضد إسرائيل بما يؤدي إلى تفجير الموقف . وفي المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في مايو ١٩٦٥ اتهم السوريون عبد الناصر بالتستر خلف قوات الطوارئ الدولية لتجنب الحرب مع إسرائيل ، وردد الأردن نفس النغمة . [3]

وبعد أن سحقت إسرائيل الجيوش العربية في الخامس من يونيو ١٩٦٧ واحتلت كل شبر في فلسطين إلى جانب صحراء سيناء ومرتفعات الجولان . وصدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ وقبول مصر له ظلت القضية الفلسطينية تعامل كمشكلة لاجئين فقد كان الشاغل الأول للدول العربية التي

---

(1) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ٤٧
(2) نفسه ص ٦٠
(3) نفسه ص ٦١

Oberkanal.com

احتلت أجزاء من أراضيها أن تزيل آثار العدوان ، ولم يكن الفلسطينيون ليقبلوا أن تتقلص قضيتهم لتصبح مشكلة لاجئين ، كما أن مصر عندما قبلت القرار رقم ٢٤٢ ، فإنما كان ذلك راجعا إلى ما حصلت عليه من " آثر جولدبرج " المندوب الأمريكي لدى مجلس الأمن وغيره من المندوبين من تأكيدات بأن القرار يتعلق بنزاع ١٩٦٧ وحده ، حيث إن القضية الفلسطينية لم تكن مطروحة على المجلس [1]

وأحس الراديكاليين العرب أن القضية الفلسطينية التي كانت تتصدر اهتمام عبد الناصر قد تراجعت لتصبح قضية هامشية . ولما كان لا حرب إلا بدون مصر فقد راحت الفصائل الفلسطينية وفي مقدمتها منظمة التحرير الفلسطينية تعلن الحرب على قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ ، وتتهم عبد الناصر الذي قبله بخيانة القضية الفلسطينية وتكثف من نشاطها لإشعال المنطقة وجرها إلى الحرب .

وكان هذا هو رد حسنين هيكل المتحدث الرسمي باسم عبد الناصر على المقاومة الفلسطينية " في معارك يونيو فإن الميزان مال كثيراً لصالح إسرائيل وبالتالي فإن تعديل هذا الميزان على الأقل شرط ضروري لحل سياسي يمكن أن يكون مقبولاً.. بمعنى أن يرتضيه الجانب العربي، ولا يقوى الجانب الإسرائيلي على رفضه. ومن ناحية أخرى، فإن الحرب الشعبية، المتمثلة اليوم في نشاط قوى المقاومة الفلسطينية داخل فلسطين لا تستطيع ولا يمكن لأحد أن يطلب منها تحقيق نتيجة حاسمة في الصراع .

والذين يتصورون أن في استطاعة المقاومة الثورية الفلسطينية أن تحقق ما حققته المقاومة الثورية الجزائرية مثلاً يظلمون أبطال المقاومة الفلسطينية فضلاً عن ظلمهم لمجرى النضال العربي العام .

([1]) نفسه ص ١٣٤

openkanal.com

أي أن هذه المقاومة ليست بديلاً عن المواجهة المسلحة.. إذا جاء دورها.

أي جيش في مواجهة جيش.. وأسطول فى مواجهة أسطول.. وطيران فى مواجهة طيران.

وهنا مسئولية مصر باعتبارها الأقدر عربياً على دفع جيش حديث إلى ساحة المعركة.

ومهما يكن من أمر هزيمة يونيو فإن الجيش المصري بالذات يبقى الأمل في المواجهة إذا كان هناك أمل في المواجهة.

وبالنسبة للأوضاع القائمة الآن في العالم العربي، فإن المقاومة الفلسطينية محددة، باعتبارات يصعب تجاهلها :

١ – إن التوازن البشرى بين قوات المقاومة، وبين عدوها في الأرض المحتلة، ليس هو التوازن القائم الآن في فيتنام، وليس هو التوازن الذي كان قائماً، في الجزائر مثلاً.

في فيتنام، شمالاً، وجنوباً، قرابة أربعين مليوناً من الفيتناميين، والعدو أمامهم نصف مليون جندي أمريكي. في الجزائر عشرة ملايين عربي، وكان العدو أمامهم أربعمائة ألف جندي فرنسي .

وفى فلسطين، داخل الأرض المحتلة، فإن العرب أقل من مليون، والعدو أكثر من مليونين لديه منهم ربع مليون تحت السلاح.

٢ – إن طبيعة الأرض الفلسطينية ليست هي طبيعة الأرض الفيتنامية، بغاباتها الكثيفة، وليست هي طبيعة الأرض الجزائرية، بجبالها الوعرة، وهناك كانت الغابات والجبال مخابئ طبيعية للمقاومة وفى فلسطين، فإن السهول مكشوفة، والتلال ليست متسعة، خصوصاً رقعة الأرض الفلسطينية المحصورة والضيقة، ومع استخدام الهليوكوبتر والتوسع في استخدامها.

٣ – إن من حول فيتنام ملاجئ لا يستطيع عدوها أن يصل إليها، كالصين مثلاً، وكفيتنام الشمالية، وكان الحال قريباً من ذلك في الجزائر مع وجود تونس والمغرب من حولها، وليبيا ومصر بالقرب منها، ولكن المقاومة الفلسطينية لا تملك مثل هذا الملجأ الآمن، الذي تستطيع أن تستعد منه، ولا يستطيع عدوها أن يصل إليه، لأن العدو على استعداد لأن يصوب إلى أي مكان في العالم العربي، كما أن العالم العربي في الوقت الراهن مضروب، لم يستعد قوته بعد.. ذلك فضلاً عن عوامل أخرى . (١)

لذا نهج عبد الناصر نهجا واقعيا في التعامل مع القضية الفلسطينية يتناسب مع الوضع المتردي الذي جلبته هزيمة يونيو فقد دعا – عن طريق الصحافة الناصرية – إلى إقامة دولة فلسطينية في الضفة والقطاع اللذان لا يمثلان إلا نسبة ٢٢.٦ % فقط من الأراضي الفلسطينية وفقا لإعلان الهدنة ١٩٤٩ . وبعد أن كان عبد الناصر يتخذ من القضية الفلسطينية ذريعة للمزايدة على منافسيه من الحكام العرب في القومية العربية راح أقطاب الناصرية يروجون لفكرة دولة فلسطينية ، ويهيئون العقل العربي لقبولها بعد أن روجوا لسنوات طويلة لفكرة أن عبد الناصر – لا الشعب الفلسطيني – هو الذي عليه المعول في إعادة الحقوق الفلسطينية كاملة للفلسطينيين بعد إلقاء إسرائيلَ ومن وراء إسرائيل في البحر !!

كتب أحمد بهاء الدين – القطب الناصري الكبير – في مجلة المصور يوم ١٢ أكتوبر ١٩٦٧ يقترح قيام دولة فلسطين على الأراضي المحتلة في يونيو ١٩٦٧ !! وألف كتابا بعنوان " اقتراح دولة فلسطين " كان تاريخ طبعته الأولى يناير ١٩٦٨ جاء في مقدمته " الاقتراح الذي طرحته ما قصدت به تقديم " برشانة " كل القضية بقدر ما قصدت به فتح باب الجدل حول قضية تجمَّد الجدل حولها – مع الأسف – من زمن

(١) محمد حسنين هيكل " بصراحة " جريدة الأهرام بتاريخ ١٩ / ١ / ١٩٦٨

بعيد وقفل فيها باب الاجتهاد . حتى بات العقل العربي يقبل ما هو شاذ أو غير منطقي ولا طبيعي بمجرد اعتياد النظر عليه أو لمجرد أن الظروف الشاذة أوجدته في وقت من الأوقات ، ولا أقول إن مصلحة ما قد ترتبت على أساسه حتى أصبح هذا المنظر طبيعيا ، وأصبح يندهش لو رأى الآخر يعتدل ويقف على قدميه ، رافعا رأسه إلى أعلى .

نعم إن الوضع بالنسبة للشعب الفلسطيني طيلة السبعة عشر عاما الماضية كان مقلوبا رأسا على عقب ، لا أقل من ذلك . أصبح الشعب الفلسطيني في المؤخرة لا في المقدمة بالنسبة لقضيته . خلت الساحة منه . شتته الصهيونيون ، ثم زاده العرب تشتيتا ، حاولوا طمس شخصيته وإنهاء قضيته ثم تركوا لنا إنجاز بقية المهمة .

إن اقتراح إقامة دولة فلسطينية ليس أكثر من هذا . ليس أكثر من المطالبة بإعادة الأمور إلى نصابها . ليس أكثر من المطالبة بأن يعود شعب فلسطين ، بأهله وقدراته وأرضه ، إلى الوجود وإلى مكان الطليعة في هذه القضية بالذات .

وهذا لا يعني أن قضية فلسطين هي قضية العرب جميعا وأنها أحد أحجار الزاوية في بناء وحدتهم – بدوره – يقتضي إقصاء الفلسطيني عن قضيته كما كان حادثا في معظم التسعة عشر عاما الماضية ؟ (١) . فقط أحب أن أشكر كل الذين تفضلوا وساهموا في مناقشة القضية بالسلب أو الإيجاب . فما نريد أن نكسبه هو المناقشة وإعمال الفكر واعتياد عدم النكوص على النظر إلى قضايانا في عيوبها تحت شعارات ثبت عجزها مثل " الخوف من البلبلة " أو ما إلى ذلك .

لقد خسر العرب الكثير جدا في محاولة " التدثر " بأغطية من عدم التفكير في جرأة وشجاعة ، يوماً بعد يوم . إلى أن أصبح الرأي العام العربي في ظروف كثيرة

(1) خمس عشرة سنة منها في عهد الثورة وأربعة في العهد الملكي .

يبدو أشبه بالجسم الذي تعود التدثر والتحصن بالأغطية حتى ضعفت مناعته وأصبحت أي لفحة هواء تصبيه بالعطب " [1]

لقد عانى العرب كثيرا من اتخاذهم لبعض المواقف غير المدروسة وغير الناضجة، فقد رفضوا قرار التقسيم الذي أقرته الأمم المتحدة والذي أكد على ضرورة إقامة دولتين في فلسطين ، وعلى الرغم مما في هذا القرار من إجحاف بحقوق الشعب الفلسطيني فقد كان وما زال أفضل ما عُرِض عليهم أو سيُعْرَض عليهم في المستقبل ، فالعرب يرفضون ما يعرضه العالم عليهم ليعودوا فيقبلونه بعد فوات الأوان ليرفضه الطرف الآخر ، ويعرض عليهم أقل مما رفضوه في السابق فيعودون إلى دوامة الرفض والقبول لينخفض سقف طموحاتهم إلى أقل من الحد الأدنى ، وهكذا يتكرر السيناريو المزعج ، ولعل السبب في ذلك هو قناعة الطرف الأقوى بين التنظيمات الفلسطينية بأنه صاحب القول الفصل دون اعتبار لرأي الشعب وطليعته المثقفة ، ولأن زعيم كل تنظيم يحاول اختصار التنظيم والشعب وكافة مؤسساته في شخصه الكريم باعتباره القائد الفذ الذي لا يخطئ. " [2]

وبعد أن يئس الفلسطينيون من الحكام العرب أن يحققوا لهم كل ما يطمحون إليه قرروا تحريك القضية عن طريق مقاومة المحتل الصهيوني . وفي هذا الفصل رصد لأهم حركات المقاومة الفلسطينية وعلاقتها بالدول العربية وأثرها على القضية الفلسطينية .

نشأة وتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية

منذ إنشاء جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥ قررت الدول العربية المؤسسة لها أن يكون لفلسطين مندوب يمثلها في الجامعة على الرغم من كون فلسطين تحت الانتداب

([1]) أحمد بهاء الدين " اقتراح دولة فلسطين " دار الآداب الطبعة الأولى يناير ١٩٦٨ ص ٦- ٨

([2]) د . محمد أيوب " حول وثيقة الأسرى " شبكة أفق العرب .

البريطاني آنذاك . وقد ظلت فلسطين ممثلة في الجامعة العربية حتى بعد نكبة ١٩٤٨، حيث تعاقب على تمثيلها في الجامعة موسى العلمي ، وأحمد حلمي عبد الباقي ، وأحمد الشقيري .

كانت منظمة فتح الفلسطينية قد تشكلت منذ عام ١٩٦٢ من عناصر شابة غادرت غزة بعد قيام إسرائيل ، من أمثال ياسر عرفات ، وصلاح خلف ، وخليل الوزير ، وتمكنوا من السيطرة على اتحاد الطلبة الفلسطينيين في الجامعات المصرية ، ثم نقلوا نشاطهم إلى الكويت ، وأصدروا صحيفة ثورية في بيروت باسم " فلسطيننا " وانضم إليهم فاروق القدومي ، وخالد الحسن وآخرون .

وكانت منظمة فتح تؤمن بالقومية العربية وبتحرير فلسطين (من النهر إلى البحر) طريقا إلى الوحدة العربية وبدأت عملياتها المسلحة ضد إسرائيل [1]

ومن جهة أخرى ، اتجه تفكير جمال عبد الناصر إلى ضرورة إحياء الكيان الفلسطيني من خلال منظمة تتولى تمثيله في إطار الجامعة العربية ، وتمكن في مؤتمر القمة العربي الأول الذي انعقد في القاهرة بتاريخ ١٩٦٤/١/١٣ من إقناع الملوك والرؤساء العرب بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة أحمد الشقيري .

وكانت منظمة فتح تتشكك في حقيقة الدور الذي تلعبه منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة الشقيري ، وترى أن الغرض من إنشائها هو امتصاص المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي . لذا فإن منظمة فتح بدأت هجماتها ضد إسرائيل في عام ١٩٦٥ ، وكانت منشوراتها تؤكد سعيها إلى خلق التوتر بين الدول العربية وإسرائيل بقصد دفع العرب إلى مواجهة الدولة اليهودية في حرب تحرير على نمط الثورة الجزائرية .

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٣٤، ١٣٥

obeikandl.com

وكان هذا الخط يتفق مع سياسة سوريا وحزب البعث الحاكم فيها والذي كانت قيادته تتهم عبد الناصر بالتستر وراء قوات الطوارئ الدولية . أما عبد الناصر فقد كان يتبع سياسة التهدئة خلال مرحلة مؤقتة حتى يتفادى إعطاء إسرائيل المبرر للعدوان في الوقت الذي كانت فيه قواته بعيدة في اليمن . ولكن الموقف ما لبث أن تطور منذ تولي جناح صلاح جديد حكم سوريا في فبراير ١٩٦٦ ووجد عبد الناصر نفسه منساقا إلى اتخاذ موقف أكثر راديكالية [1]

ونتيجة لمزايدة عبد الناصر لحزب البعث السوري ومنظمة فتح على القومية العربية والعداء لإسرائيل وأمريكا حدثت كارثة الخامس من يونيو ١٩٦٧ لتعيد عبد الناصر إلى سياسة المهادنة مرة أخرى رغبة في استرداد أراضيه المحتلة .

أما عن منظمة التحرير فقد قام أحمد الشقيري بجولة زار خلالها الدول العربية واتصل بأبناء فلسطين فيها ، وأثناء جولته تم وضع مشروع الميثاق والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتقرر عقد مؤتمر فلسطيني عام واختار الشقيري اللجان التحضيرية للمؤتمر في جميع البلاد العربية المضيفة للفلسطينيين .

المؤتمر الفلسطيني الأول (القدس ٢٨ /٥ /١٩٦٤) :

قام بافتتاح المؤتمر الملك حسين وألقى فيه خطاباً ، وقد تفرعت عن المؤتمر تسع لجان وخرج المؤتمر بالعديد من القرارات أهمها إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية حيث نص القرار على التالي :

إيماناً بحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المقدس فلسطين ، وتأكيداً لحتمية معركة تحرير الجزء المغتصب منه وعزمه وإصراره على إبراز كيانه الثوري

([1]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٣٥

obeikandl.com

الفعال وتعبئة طاقاته وإمكانياته وقواه المادية والعسكرية والروحية ، وتحقيقاً لأمنية أصيلة من أماني الأمة العربية ممثلة في قرارات جامعة الدول العربية ومؤتمر القمة العربي الأول .

نعلن بعد الاتكال على الله باسم المؤتمر العربي الفلسطيني الأول المنعقد بمدينة القدس في ١٩٦٤/٥/٢٨ الآتي :

١- قيام منظمة التحرير الفلسطينية قيادة معبئة لقوى الشعب العربي الفلسطيني لخوض معركة التحرير، ودرعاً لحقوق شعب فلسطين وأمانيه ، وطريقاً للنصر .

٢- المصادقة على الميثاق القومي لمنظمة التحرير الفلسطينية وعدد بنوده ٢٩ بنداً .

٣- المصادقة على النظام الأساسي وعدد بنوده ٣١ بنداً واللائحة الداخلية للمجلس الوطني والصندوق القومي الفلسطيني .

٤- انتخاب السيد أحمد الشقيري رئيساً للجنة التنفيذية وتكليفه باختيار أعضاء اللجنة التنفيذية وعددهم ١٥ عضواً .

٥- يصبح المؤتمر بكامل أعضائه ، الـ ٣٩٧ عضواً " المجلس الوطني الأول لمنظمة التحرير الفلسطينية " .

رؤساء منظمة التحرير

أحمد الشقيري : أول رئيس لمنظمة التحرير ، لقد انتخب لثلاث دورات متتالية من ١٩٦٤/٥/٢٨ إلى ١٩٦٨/٧/١٧ .

يحيي حمودة : خلف أحمد الشقيري في رئاسة منظمة التحرير ، وانتخب لدورة واحدة من (١٧ / ٧ / ١٩٦٨ - ٤ / ٢ / ١٩٦٩) .

obeikandl.com

ياسر عرفات : وهو ما ارتبط اسم منظمة التحرير به لأكثر من ٣٦ سنة متتالية ابتداءً من (٤ / ٢ / ١٩٦٨ إلى وفاته يوم ١١ / ١١ / ٢٠٠٤) .

محمود عباس : وقد انتخب بإجماع أعضاء اللجنة المركزية من المستقلين ومن ممثلي الفصائل الأخرى ، وهكذا لم يحجم أحد من أي اتجاه عن انتخاب محمود عباس لرئاسة اللجنة التحرير الفلسطينية يوم (١٢ / ١١ / ٢٠٠٤ -) [1]

محطات مهمة في تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية

١- الصدام مع بعض الجهات في لبنان ، بعد هذه الصدامات تم عقد " اتفاقية القاهرة " في ٢ / ١١ / ١٩٦٩ حيث نظمت العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة اللبنانية وكانت أول اتفاقية تعقدها حكومة عربية مع المقاومة الفلسطينية.

٢- انضمام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين إلى عضوية المجلس الوطني واللجنة التنفيذية في الدورة السادسة للمجلس (١-٦ / ٩ / ١٩٦٩) **كما أعلنت المنظمة رفضها للحلول السلمية وقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .**

٣- تفجر الصدام بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية عام ١٩٧٠، الذي استدعى عقد مؤتمر عربي استثنائي في القاهرة (٢٦-٢٧ / ٩ / ١٩٧٠) الذي توصل إلى عقد اتفاقيتي القاهرة وعمان لتنظيم العلاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية .

٤- تجدد الصدام بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية في تموز ١٩٧١، مما أدى إلى خروج قوات الثورة الفلسطينية من الأردن إلى لبنان .

٥- طرحت منظمة التحرير الفلسطينية **مشروع الدولة الديمقراطية العلمانية وتم إقراره من قبل المجلس الوطني الفلسطيني في دورتيه السابعة والثامنة .**

---

[1] مركز المعلومات الوطني الفلسطيني .

obeikandi.com

٦- ازدياد حدة الصراع بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية نتيجة طرح الملك حسين مشروع المملكة العربية المتحدة حيث رأت المنظمة في هذا المشروع ما يناقض أهداف الشعب الفلسطيني وقد تم عقد دورة استثنائية للمجلس الوطني الذي رفض هذا المشروع بشكل تام .

إرهاصات أيلول الأسود

واسمحوا لي أن نقف وقفة متأنية مع أحداث أيلول الأسود لما لها من دلالة كاشفة عن الصراع العربي الإسرائيلي ، والصراع العربي / العربي ، كما أنها توضح لنا بجلاء صفحة شديدة الخطورة في بيان إشكالية العلاقة بين منظمات المقاومة العربية، والحكومات العربية .

ومنذ تولى ياسر عرفات قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في فبراير ١٩٦٩ تمكن من تكثيف نشاطها في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي ، وكانت المنظمة تشن هجماتها على إسرائيل من الأراضي الأردنية بعد أن قدَّر الملك حسين أن من مصلحته ممارسة الضغوط على إسرائيل أملاً في استعادة الضفة الغربية . وكان لمعركة الكرامة التي خاضها رجال المنظمة ضد القوات الإسرائيلية في مارس ١٩٦٨ أثر كبير في رفع معنويات الفلسطينيين وازدياد ثقة المنظمة في جدوى عملياتها العسكرية فقامت بعدة عمليات جريئة ، وضاعفت تدريب جيش التحرير الفلسطيني وتسليحه .

وأصدرت منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٨ الميثاق الوطني متضمنا العزم على النضال الوطني والكفاح المسلح باعتباره الطريق الوحيد لتحرير فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني !! واعتبر الميثاق تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ باطلا ، وكذا تصريح بلفور ، وصك الانتداب . كما اعتبر الصهيونية وليدة

الإمبريالية العالمية [1] ومن حق الشعب الفلسطيني تحرير وطنه وسوف تقوم منظمة التحرير التي تمثل الثورة الفلسطينية بمسئوليتها في استعادة وطنه وتحريره .

وكانت منظمة التحرير تدعو إلى التعاون مع الدول العربية وعدم التورط في خلافاتها ، لكن هذا المنطق الحكيم لم تكن كل الفصائل الفلسطينية تؤمن به ، فالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش وأحمد جبريل (الذي انفصل عنها فيما بعد) كانت على صلة وثيقة بحزب البعث السوري ، وترى في الإطاحة بأنظمة الحكم العربية واستبدال أنظمة راديكالية بها . كما كانت الجبهة الديمقراطية الشعبية بقيادة نايف حواتمة تدين بأيديولوجية متطرفة .

وأخذت أعمال المقاومة ضد إسرائيل أبعادا خطيرة عندما قامت الجبهتان بعمليات خطف الطائرات وما لجأت إليه إسرائيل من الرد عليها بعمليات انتقامية في الأراضي اللبنانية والأردنية مما حدا بالملك حسين بقيامه بحرب شعواء ضد المنظمات الفلسطينية وإنهاء وجودها في الأردن وقد أسفرت المعارك الشرسة (فيما سمي بأيلول الأسود) عن مقتل أكثر من ثلاثة آلاف وإصابة أكثر من ١١ ألف شخص . [2]

الجبهة الشعبية وخطف الطائرات

لقد أسهمت " الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين " في إشعال الموقف المعادي للأنظمة العربية ، وأسهمت بشكل رئيسي في استفزاز النظام الأردني ، وفي وضع المنظمات الأخرى وخاصة منظمة فتح تحت نيران التفريط ، **وتعثرت العمليات داخل إسرائيل بعد أن أصبحت حماية المقاومة من داخل الأردن المسئولية الأولى للجميع**

([1]) لمزيد من التفصيل حول علاقة إسرائيل بالإمبريالية العالمية انظر " اليهود والصليبيون الجدد " و " حقيقة اليهود وأوهام العرب " و " العرب والمخطط الصهيوني " للمؤلف .

([2]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٣٦

obeikandl.com

فقد اختارت الجبهة الشعبية طريقها الخاص لتصعيد المعركة بعيدا عن قبضة الملك حسين ، وقامت في يوم ٦ سبتمبر بخطف طائرة بوينج أمريكية كبيرة هبطت في القاهرة ثم نسفت بعد إخلائها من الركاب .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد خطفت بعد أيام طائرتين واحدة أمريكية والأخرى سويسرية تبعتها ثالثة بريطانية وهبط الجميع في مطار مهجور بالأردن أطلقوا عليه اسم مطار الثورة ، وطلبت الجبهة من حكومات انجلترا وإسرائيل وسويسرا وألمانيا الغربية إطلاق سراح الفدائيين المعتقلين قبل الإفراج عن الركاب ، ولكن جميع الحكومات رفضت الخضوع .

ورغم أن منظمة التحرير والحكومات العربية قد أدانت هذا الأسلوب إلا أن أحدا لم يستطع أن يتدخل لإنقاذ الركاب الذين اضطرت الجبهة للإفراج عنهم بعد أربعة أيام عقب نسف الطائرات الثلاث .

وكان هذا الحادث هو أكثر الحوادث استفزازا للملك حسين (ملك الأردن) الذي لم يقبل أن يصل الاعتداء على مملكته إلى هذا الحد بإقامة (دولة داخل دولة) ، وارتكبت الجبهة الشعبية بهذه الحوادث أخطاءً تاريخية **فهي أعمال بعيدة تماما عن مقاومة العدو ، مثيرة لعداوة الشعوب والرأي العام العالمي .**

وكانت الجبهة الشعبية قد بدأت أسلوب خطف الطائرات منذ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت طائرة بوينج إسرائيلية كانت في طريقها من روما إلى تل أبيب ، وأجبرت بوساطة المسلحين الفلسطينيين على الهبوط في الجزائر حيث بقي ١٢ راكبا إسرائيليا في الحجز لمدة شهرين قبل أن إطلاق سراحهم . وبعد خمسة شهور استولى الفدائيون الفلسطينيون على طائرة بوينج إسرائيلية أخرى في مطار أثينا حيث قتل أحد الركاب قبل أن يعتقل البوليس اليوناني المختطفين . ورد الإسرائيليون على ذلك بتدمير ١٣ طائرة عربية فوق أرض مطار بيروت .

ومع ذلك لم تتوقف الجبهة الشعبية عن انتهاج هذا الأسلوب فقد هجم مجموعة من أفرادها في مطار زيورخ على طائرة إسرائيلية فجرحوا ستة من الركاب وأفراد الطاقم ، وقتل أحد الفلسطينيين واعتقل البوليس السويسري الباقين وذلك في فبراير ١٩٦٩ .

ولم تفلح محاولات ياسر عرفات في وقف هذه العمليات التي كانت تشوه وجه المقاومة وتسيء إلى أهدافها النبيلة ، وقد أثارت هذه الحوادث المتكررة غضب الدول العربية ، ومنظمة فتح وغيرها ، وخلقت موجة من الرفض العالمي لهذا الأسلوب الذي يعرض المدنيين للخطر ، ويفتعل أحداثا مثيرة في دول يحرص العرب على كسب الرأي العام فيها وليس تنفيره وإجباره على اتخاذ موقف العداء.

لكن الجبهة الشعبية أرادت أن تثبت استقلالية سياستها فخطفت طائرة يونانية لم تفرج عنها إلا بعد أن أفرجت الحكومة اليونانية عن سبعة من الفدائيين الفلسطينيين المعتقلين .

تاريخ طويل في خطف الطائرات لا يمكن تدوينه ضمن النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية .

ولو كان خطف الطائرات سبيلا لتحرير الأرض لكان الفيتناميين خطفوا كل الطائرات الأمريكية ، ولم يواصلوا النضال الشاق في حرب مريرة أكثر من ثلاثين عاما .

وكان المصريون بدلا من خوض المعارك وتكبد آلاف الشهداء كانوا قد لجئوا إلى هذا الحل السهل ، لكن الشعوب تتحرر ليس بمغامرات بعض الفصائل غير المسئولة إنما بإعداد الجيوش ووضع الخطط وتضافر الجهود وحسن إدارة المعركة.

نعود إلى الجبهة الشعبية كان حادثها الأخير هو الفرصة النادرة للملك حسين فأصدر يوم ١٦ سبتمبر قرارا بتعيين اللواء محمد داود رئيسا لوزارة عسكرية أعلنت

obeikandl.com

الأحكام العرفية ، وطلب من أمين الشبلي (رئيس لجنة الجامعة العربية) بسرعة تنفيذ الاتفاقية التي تنص على خروج الفدائيين من المدن وعدم حملهم السلاح .

ولكن اللجنة المركزية المشكلة من ١١ منظمة فلسطينية رفضت تنفيذ الاتفاقية متخذة من التعيين الوزاري دليلا على أن الملك حسين سادر في خطته لضرب المقاومة الفلسطينية ، وأصدرت اللجنة التنفيذية بيانا بذلك .

وقائع أيلول الأسود

وفي يوم ١٧ سبتمبر أصدر الملك حسين الأوامر لقواته المسلحة بالهجوم على معسكرات الفلسطينيين ومراكز تدريبهم وقواعد المقاومة ومخابئها ، وتحركت قوات البادية تدمر كل شيء وتقتل كل فلسطيني .

وتحركت القوات السورية إلى بلدة (الرمثا) على الحدود الأردنية لإنقاذ المقاومة الفلسطينية ، وأبلغت الولايات المتحدة الأمريكية سوريا عن طريق حليفها الاتحاد السوفيتي أنها لن تسمح بدخول القوات السورية إلى الأردن ، وأنها سوف تحمي نظام الملك حسين .

وأرسل جمال عبد الناصر الفريق محمد أحمد صادق رئيس الأركان إلى عمان ليبصر الملك حسين بأخطار تصفية المقاومة ، وليقنعه أن الحرب الأهلية لن تكون إلا في صالح إسرائيل .

وأصر الملك حسين على تحرير إرادة حكومته من كل هذه الضغوط ، رافضا تصرفات المقاومة الفلسطينية .

ظل الموقف يتدهور بطريقة مفجعة ، وساد الظلام في الأردن ، وتحول شهر سبتمبر إلى شهر كئيب حزين أسود ، وقد سُمي في التاريخ بأيلول الأسود **فقد تجاوز**

obeikandl.com

عدد الذين سقطوا قتلى برصاص السلطة الأردنية عدد الفدائيين الذين استشهدوا في عملياتهم داخل إسرائيل والأرض المحتلة ، وفي كافة المعارك ! إذ بلغ عدد القتلى حوالي ثلاثة آلاف شخص وإصابة أكثر من ١١ ألف شخص !!!

وصل رئيس سوريا نور الدين الأتاسي إلى القاهرة في يوم ٢١ سبتمبر وهو يحمل معه الرغبة في دخول الأردن ، ولكن عبد الناصر حذره من الموقف الأمريكي ، ومن الخطوات غير المحسوبة .

ويضطر عبد الناصر للدعوة إلى مؤتمر قمة عربية في القاهرة لحل هذه الكارثة التي تجلل رؤساء العرب بالعار ، **المقاومة الفلسطينية الفصيل الوحيد الذي يوجه ضربات موجعة لإسرائيل بعدما دمرت الجيوش العربية وشلت حركتها تذبح علنا برصاص العرب ، وكل القيادات عاجزة عن حمايتها !!!**

تتوافد الملوك والرؤساء العرب إلى فندق هيلتون على نيل مصر ، والمذبحة مازالت مستمرة في الأردن ، وأحرار العالم يحتجون في مظاهرات صاخبة . الملك حسين لم يحضر ويرسل محمد داود رئيس الوزراء مندوبا عنه ، ويرسل مؤتمر القمة العربية جعفر نميري مندوبا عنه على رأس وفد إلى عمان يوم ٢٢ سبتمبر ، ولم ينجح الوفد في وقف إطلاق النار ، فقد كان أسلوب العملية يدل على أنها عملية حربية شاملة وأن الملك حسين كان مبيت النية لها من قبل للقضاء على المقاومة الفلسطينية التي كانت تسعى إلى تقوية مركزها في الأردن ملوحة بقدرتها على احتلال العاصمة الأردنية في ساعتين لأن نصف الجيش الأردني سوف ينضم إليها إذا حدثت بين الطرفين معركة على حد قول ياسر عرفات لأعضاء لجنة الجامعة العربية !! وكان عبد الناصر على أشد الحذر من انزلاق الأمور إلى تدخل أمريكي إسرائيلي مشترك ، ولذا فقد صارح السوريين عندما أظهروا رغبتهم في دفع قواتهم للأردن بأن مصر لن

ترسل أي قوات لسوريا أو الأردن في حالة تدخل أمريكا ، وأوضحت التقارير الواردة من واشنطن ونيويورك أن الأمريكيين قد أخذوا الأمر على محمل الجد ، وأن نيكسون قد يرسل إلى الأردن قوات أمريكية في أية لحظة ، كما أن قادة الاتحاد السوفيتي قد طالبوا – كعادتهم دائما – عبد الناصر بضبط النفس .

وكان محمد داود الذي عينه الملك حسين رئيسا لوزارة عسكرية قد أرسل إلى الملك حسين استقالته لأن ابنته المتزوجة في بيروت حضرت إليه أثناء انعقاد المؤتمر القمة العربية في القاهرة ، وتمثيله للأردن وطالبته بألا يكون مخلب القط الذي يضرب الفدائيين ، ولأن معمر القذافي واجهه بمسئوليته في خيانة القضية العربية . فاستقال وحصل على الجنسية الليبية !!

وعندما استجاب الملك حسين لرغبة عبد الناصر وحضر المؤتمر يوم ٢٥ سبتمبر دخل القاعة يحمل مسدسه وكذلك ياسر عرفات الذي استطاع الوفد المفوض من مؤتمر القمة بتهريبه من الأردن ، وأراد الملك فيصل ترطيب الجو فقال يجدر بنا أولا نزع سلاح المتحاربين .

وتوصل المؤتمر يوم ٢٧ سبتمبر إلى اتفاق وقعه الملك حسين وياسر عرفات ويقضي بالآتي :

أولا : الوقف الفوري لإطلاق النار .

ثانيا : انسحاب الجيش الأردني والفدائيين من كافة المدن قبل مغرب نفس اليوم .

تكليف لجنة برئاسة الباهي الأدغم – رئيس وزراء تونس آنذاك – تسافر إلى الأردن يوم ٢٨ سبتمبر لتشرف على إجراءات التنفيذ .

ومن ذلك التاريخ أصبح واضحا أن الأردن لم تعد أرضا صالحة للفدائيين ، ولم تعد نقطة الانطلاق إلى داخل الأرض المحتلة .

obeikandl.com

ولاشك أن عدم تنسيق الإستراتيجية العربية بين كافة الأنظمة ، والقوى السياسية ، وعجز المقاومة الفلسطينية عن توحيد فصائلها بما يجعل لها سياسة واحدة كان من الأسباب الرئيسية التي أتاحت للنظام الأردني أن ينجح ، ولعل ما قاله **معمر القذافي أثناء المؤتمر من أن الملك حسين مجنون يقتل شعبه ، وأن على المجتمعين أن يرسلوا من يقبض عليه ويدخله المستشفى فرد عليه الملك فيصل – فيما يرويه هيكل في كتابه الطريق إلى رمضان – ربما كنا جميعا مجانين ، وهنا يتدخل عبد الناصر في الحوار قائلا : " أحيانا عندما نرى ما يحدث في العالم العربي فإني أعتقد أن ذلك قد يكون صحيحا يا صاحب الجلالة ، ولذا فإني أقترح أن ننتدب طبيبا للكشف علينا دورياً ، ومعرفة المجنون فينا " !!!**

ولعل هذا الحوار الذي خرج عن حده المعتاد بين الرؤساء والملوك يعطي إحساسا بمدى سخونة الموقف داخل قاعة الاجتماع ، يدفع إلى التساؤل في نفس الوقت :

هل هو جنون فرد الذي فجر هذه المأساة ، أم خيانة طبقة ونظام ؟

مهما حاولنا تعليق الخطايا في رقاب المتهمين ، إن الشهداء لن يعودوا للحياة ، ووصمة العار لن تمحوها الأيام من جبهة النظام الأردني ، ولا من حياة بعض الذين لجئوا إلى الاستفزاز وحده من بين فصائل المقاومة الفلسطينية .

ضاعت الفرصة إلى الأبد في أن يعد يتهدد الخطر أحد داخل إسرائيل من هذا الاتجاه [1]

نعود إلى القوات السورية المتوجهة لغزو الأردن ماذا تم بشأنها ؟ ومن الذي أوقف زحفها ؟

([1]) لمزيد من التفاصيل حول أحداث " أيلول الأسود " راجع أحمد حمروش " ثورة يوليو " الجزء الثاني الباب الخامس الفصل الثاني خريف عبد الناصر .

obeikandi.com

أتدرون من الذي أوقف غزو سوريا للأردن ؟ إنها أمريكا !!

والتاريخ العربي المخزي يقول أن أمريكا طلبت من إسرائيل أن ترسل طيرانها لمواجهة القوات السورية ، وبمجرد تحليق الطيران الإسرائيلي فوق القوات السورية استدارت القوات للخلف وعادت من حيث أتت وهكذا أوقفت إسرائيل حربا مؤكدة بين سورية والأردن !!

وفي ذلك يقول الملك حسين في مقابلة تليفزيونية معه " عندما أصبحت التهديدات تحيط بنا من كل جهة كان الموقف مستحيلا وأخبرتني القيادة العسكرية بحاجتنا إلى مساعدة خارجية وبأن علينا طلبها من أمريكا أو من أي جهة أخرى مستعدة لتقديم مساعدة (يقصد إسرائيل) [1]

ويقول : هنري كيسنجر مستشار الأمن القومي الأمريكي " علمنا أن الملك مستعد لقبول المساعدة من أي جهة وأنه يفضل تدخل أمريكي مباشر " .

ولقد استطاع مستشارو الرئيس الأمريكي نيكسون أن يقنعوه بطلب المساعدة من إسرائيل " قلنا له سيادة الرئيس نعتقد أن إسرائيل في موقعها أفضل للقيام بذلك فهي قريبة من مسرح العمليات ويمكن استخدام مصادرها بشكل أسرع " [2]

وأبلغت أمريكا الملك حسين أنها ستطلب من إسرائيل مساعدته وكان موقفا حرجا بالنسبة له لكنه لم يجد منه مفر .

وتطلب أمريكا من إسرائيل التدخل لمنع الدبابات السورية من الوصول للأردن .

يقول الجنرال مردخاي هود قائد القوات الإسرائيلية : " وصلني الأمر بإرسال طائرات الفانتوم لتحلق فوق الدبابات (السورية) وأعطيت التعليمات بنفسي لقائد

([1]) عمرو الليثي " أورشليم ، شهادة قادة الصراع العربي الإسرائيلي " ص ٢٠٤ .
([2]) نفسه ص ٢٠٥

operkanalic.com

السرب ، وقلت له حلِّق فوقهم تأكد أنهم يرونك ويسمعونك بوضوح ، وبعد ذلك قم بهجوم صوري عليهم حتى يفهموا ما نريده (أي يرجعون من حيث أتوا) وهذا ما حدث بالضبط حيث قامت أربع طائرات بعمل مناورة فوق الدبابات بينما كنت أنتظرهم مع سربين رباعيين لنتأكد أنهم غير معرضين للخطر .

وكانت أربع طائرات كافية لإنجاز المهمة " [1]

وقد تركت أحداث أيلول الأسود شرخا في العلاقات الأردنية الفلسطينية وخلفت لدى الفلسطينيين ذكريات أليمة لا تنسى ، وأصبح التعاون بين المنظمة والأردن يشوبه عدم الثقة المتبادل ، الأمر الذي كانت له آثاره السلبية على المحاورات التي بذلت من أجل عملية السلام فيما بعد [2]

ولم يمض سوى شهور قليلة على توقيع الاتفاق الأردني / الفلسطيني حتى تجدد الصدام ثانية بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الأردنية في يوليو ١٩٧١، مما أدى إلى خروج قوات المقاومة الفلسطينية من الأردن إلى لبنان لتبدأ المقاومة الفلسطينية صفحة أخرى صراعها العربي الإسرائيلي ، والعربي العربي .

المقاومة الفلسطينية في لبنان

بدأ النزوح الفلسطيني إلى لبنان ابتداء من عام ١٩٤٧ إبان النكبة الفلسطينية ووسط تعاطف عربي جيَّاش استقبل الفلسطينيون الهاربون من مذابح العصابات الصهيونية في البلدان العربية المجاورة لفلسطين بترحاب شديد وثقة في أن هذه الهجرة الاضطرارية لن تكون أكثر من محنة عابرة يعود بعدها الفلسطينيون إلى مدنهم وقراهم وأرضهم المغتصبة بعد دحر العدو المعتدي ، وكان نصيب لبنان من هؤلاء اللاجئين

([1]) نفسه ص ٢٠٥، ٢٠٦

([2]) السفير طاهر شاش " المواجهة والسلام في الشرق الأوسط " دار الشروق ص ١٣٦

١٤٠ ألف فلسطينيي عبروا الحدود على دفعات خلال حرب فلسطين وبعدها مباشرة ، ورحب بهم اللبنانيون وفتحوا لهم بيوتهم ومدارسهم بل إن بشارة الخوري أول رئيس للبنان بعد الاستقلال خرج بنفسه إلى حدود لبنان الجنوبية لاستقبال اللاجئين الفلسطينيين تعبيرا عن مشاعر التأييد والتعاطف والاستعداد للمشاركة والتضحية حتى تمر الأزمة وتنكشف الغمة .

ولقد تعاونت الحكومة اللبنانية مع بعض الهيئات المحلية والدولية على إنشاء عدد من المخيمات كان أكثرها كثافة تلك التي أقيمت على أرض الجنوب اللبناني على اعتبار أن معظم اللاجئين فضَّلوا الانتظار بالقرب من حدود بلادهم ، وبدأت حياة اللاجئين تنتظم داخل المخيمات التي أخذت كثافتها السكانية تزداد سنة بعد أخرى ، وفي بيوت هشة من الصفيح لا تفصلها عن بعضها سوى أزقة مترية في الصيف موحلة في الشتاء .

وعندما انطلقت حركة الكفاح المسلح بعد هزيمة ١٩٦٧ تلقَّف سكان المخيمات بلهفة هذا الأمل خاصة وأن الحرب الأخيرة كانت قد أسفرت عن إضافة أعداد أخرى من اللاجئين الذين هُجِّروا من الضفة الغربية ، وأصبحت الثورة هي الأمل الوحيد لتغيير الوضع البائس بعد أن خمد الأمل القديم الذي عاش طويلا في النفوس انتظارا لحرب عربية تعيد إليهم "الوطن المغتصب " أو تعيدهم إليه .

وكان لابد أن يقع الصدام بين ساكني المخيمات في حالتهم الثورية الجديدة ، وبين الدولة اللبنانية التي استشعرت خطورة الثورة التي تحدث في المخيمات على لبنان ، وقد وقع الصدام بالفعل في عام ١٩٦٩ ، وسرعان ما تدخلت أطراف عربية عدة للتوسط بين الحكومة اللبنانية وبين قيادة الثورة التي كانت مقرها لا يزال في الأردن ، وتمخضت هذه الوساطة عن اتفاقية القاهرة ، والتي أقرت واقعيا بالوجود الفلسطيني

المسلح على أرض لبنان ، وإنشاء نقاط للكفاح المسلح داخل المخيمات لضبط الأمن وبتسهيل للمقاتلين عبر حدود لبنان الجنوبية للقيام بعملياتهم الفدائية ، لكن الصدام الثاني الذي وقع في عام ١٩٧٣ إثر عملية " فردان " الإسرائيلية التي أثارت انتقادات حادة ضد تقاعس السلطة اللبنانية وعجزها ، وقيام الجيش اللبناني بقصف المخيمات في رد فعل متسرع لقمع الأزمة وتحجيم قيادة المقاومة التي انتقلت إلى لبنان في عام ١٩٧١ كان له رد فعل عكسي تماما ، ليس فقط بين الفلسطينيين ، وإنما أيضا بين " حلفائهم " اللبنانيين وقد ظل يتصاعد ويتفاعل حتى كان يوم ١٣ إبريل عام ١٩٧٥ الذي وقع فيه حادث " عين الرمانة " حيث قتل ٢٦ فلسطينيا على أيدي مسلحي حزب الكتائب (المسيحي) فانفجرت الحرب الأهلية !

إن علاقة المقاومة الفلسطينية بلبنان علاقة شائكة ومعقدة ومتداخلة ، ومن الصعب أن نصدر فيها حكما واحدا قاطعا لصالح أحد الأطراف ، فأحيانا تكون المقاومة الفلسطينية هي الجانية وأحيانا تكون الدولة اللبنانية – إن كان ثمة دولة لبنانية بالمعنى الحقيقي للدولة – هي الجانية ، وفي أغلب الأحيان فإنهما – المقاومة الفلسطينية والدولة اللبنانية – يكونان مَجْنِيٌّ عليهما وتكون إسرائيل وعملاؤها وحلفاؤها هم الجناة .

إن المقاومة الفلسطينية بعد تجربتها المريرة مع السلطة في الأردن عام ١٩٧٠ قد أصبحت أسيرة عقدة الخوف من " السلطة " في أي بلد ، بل وفي أي مكان ، ولم تعد المقاومة الفلسطينية تقتصر على الحذر والشك إزاء السلطة وحدها وإنما ساعدت على تكوين " مزاج فلسطيني عام " يفتش عن سوء النية وراء كل عمل أو تصرف ، ويتوقع " الشر " في كل لحظة ويشك في كل شيء وفي أي شخص .

في أواسط السبعينات وقبل أن اندلاع حرب لبنان الأهلية ، كانت الشكوك المتبادلة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية قد بلغت من الكثافة حدا يجعل المرء يكاد يشعر بها

obeikandl.com

وراء كل موقف وفي كل تصريح ، ولم يكن الأمر نتيجة الصدمة التي أحدثتها عملية الكوماندوز الإسرائيلية عام ١٩٧٣ ، والتي عرفت فيما بعد بـ " عملية فردان " فقد تمكنت الكوماندوز الإسرائيلية من النزول على شاطئ بيروت ، مستهدفة قادة منظمة التحرير وأركان منظمة الأيلول الأسود بالأخص .

ونجا عرفات من القتل حيث كان يعمل لوقت متأخر في مقر القيادة ولكنهم قتلوا في ذلك الهجوم ثلاثة من قادة المقاومة حيث يقيمون في منطقة شارع " فردان " غربي العاصمة اللبنانية بمعاونة قادة محليين فيما يقال فاغتالتهم جميعا ، ثم انسحبت مع خيوط الفجر مخلفة وراءها – بالإضافة إلى جثث : كمال ناصر ، ويوسف النجار ، وكمال عدوان – جذوة أزمة لم تلبث أن استعرت نيرانها ، وسط حملة هائلة من الاتهامات المتبادلة ، وسببت أول صدام خطير بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية المسلحة ، وفي غمرة هذا الصدام ونتيجة له ، سقطت عمليا الاتفاقات المعقودة بين الدولة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ([1]) فانتشر الوجود الفلسطيني المسلح دون ضابط بينما قام الجيش اللبناني من ناحيته بقصف مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بالطائرات !!

وتطور سوء الظن بين الطرفين من سيئ لأسوأ حتى انفجرت الحرب الأهلية اللبنانية ، فإذا بالثورة الفلسطينية تجد نفسها بدلا من أن تتخذ من لبنان منطلقا لكفاحها المسلح ضد إسرائيل قد تورطت كطرف في القتال الدائر على أرض لبنان

([1]) أهمها " اتفاقية القاهرة " التي وقعت في ٣ نوفمبر ١٩٦٩ ، ووقعها عن لبنان قائد الجيش وعن المقاومة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ثم أقرها مجلس الوزراء ومجلس النواب اللبنانيين فيما بعد ولكنها – والملاحق المرفقة بها – ظلت سرية ولم تنشر تفاصيلها ، وتلي ذلك في الأهمية اتفاقية " ملكارت " التي وقعت في بيروت عقب الصدام بين الجيش اللبناني والمقاومة في عام ١٩٧٣ ، واعتبرت مكملة لاتفاق القاهرة ، ومفسرة أو موضحة لبعض بنودها .

مآسي المقاومة الفلسطينية في لبنان

مذبحة عين الحلوة (١٦ مايو ١٩٨٤)

ومن المآسي التي تعرضت لها المقاومة الفلسطينية في لبنان مذبحة عين الحلوة (١٦ مايو ١٩٨٤) : ففي عشية الانسحاب الإسرائيلي المنتظر من مدينة صيدا في جنوب لبنان، أوعزت إسرائيل إلى أحد عملائها ويُدعى حسين عكر بالتسلل إلى داخل مخيم عين الحلوة الفلسطيني المجاور لصيدا، واندفعت قوات الجيش الإسرائيلي وراءه بقوة ١٥٠٠ جندي و١٥٠ آلية. وراح المهاجمون ينشرون الخراب والقتل في المخيم دون تمييز تحت الأضواء التي وفرتها القنابل المضيئة في سماء المخيم. واستمر القتل والتدمير من منتصف الليل حتى اليوم التالي حيث تصدت القوات الإسرائيلية لمظاهرة احتجاج نظمها أهالي المخيم في الصباح. كما فرضوا حصاراً على المخيم ومنعوا الدخول إليه أو الخروج منه حتى بالنسبة لسيارات الإسعاف وذلك إلى ساعة متأخرة من نهار ذلك اليوم .

وأسفرت المذبحة عن سقوط ١٥ فلسطينياً بين قتيل وجريح بينهم شباب وكهول وأطفال ونساء فضلاً عن تدمير ١٤٠ منزلاً واعتقال ١٥٠ بينهم نساء وأطفال وشيوخ.

مذبحة صابرا وشاتيلا (١٦-١٨ سبتمبر ١٩٨٢)

وقعت هذه المذبحة بمخيم صابرا وشاتيلا الفلسطيني بعد دخول القوات الإسرائيلية الغازية إلى العاصمة اللبنانية بيروت وإحكام سيطرتها على القطاع الغربي منها وقامت المدفعية والطائرات الإسرائيلية بقصف صابرا وشاتيلا . رغم خلو المخيم من السلاح والمسلحين . ولقد راح ضحية مذبحة صابرا وشاتيلا [١٥٠٠] شهيداً من الفلسطينيين واللبنانيين العزل بينهم الأطفال والنساء .

كما تركت قوات الكتائب وراءها مئات من أشباه الأحياء. كما تعرَّضت بعض النساء للاغتصاب المتكرر.

وتمت المذبحة في غيبة السلاح والمقاتلين عن المخيم وفي ظل الالتزامات الأمريكية المشددة بحماية الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين من المدنيين العزل بعد خروج المقاومة من لبنان.

وكانت مذبحة صابرا وشاتيلا تهدف إلى تحقيق هدفين : الأول الإجهاز على معنويات الفلسطينيين وحلفائهم اللبنانيين، والثاني المساهمة في تأجيج نيران العداوات الطائفية بين اللبنانيين أنفسهم.

فتح الإسلام ولبنان

التقارير تفيد أن مجموعة فتح الإسلام انشقت في بادئ الأمر عن تنظيم فتح الانتفاضة، الذي يقوده أبو موسى وأبو خالد العملة من دمشق، وهو تنظيم مقرب من النظام السوري، سبق له وأنشق بدوره عن حركة فتح في أواسط العقد الثامن من القرن الماضي، على خلفية النزاع بين دمشق ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وقاد انشقاق فتح الإسلام شاكر العبسي وهو عضو سابق في حركة فتح، أرسلته الحركة في السبعينات إلى ليبيا للتدرب على الطيران، وعاد بعدها ليظهر في الأردن عام ٢٠٠٢، حيث يُنسب إليه الضلوع باغتيال الدبلوماسي الأمريكي لورنس فولي، وقد صدر بحقه حكم غيابي بالإعدام في هذه القضية.

بعد ذلك ظهر العبسي في دمشق، حيث صدر بحقه حكماً بالسجن بتهمة محاولة إدخال أسلحة إلى الأردن لضرب أهداف إسرائيلية عام ٢٠٠٢، وأطلق سراحه بعد عامين فقط، ليعود فيظهر فجأة في معسكر تابع لتنظيم "فتح الانتفاضة" في بلدة حلوة اللبنانية، الواقعة على الحدود السورية لجهة البقاع الغربي .

obeikandl.com

ومنذ نهاية العام ٢٠٠٦ قدم " شاكر العبسي" الأردني المقيم في مخيم نهر البارد نفسه على أنه زعيم حركة " فتح الإسلام ".

وكان الظهور الأول لـ"فتح الإسلام" بعد اشتباك في مخيم البداوي في الشمال، في أواخر شهر نوفمبر ٢٠٠٦ بين عناصر من الكفاح المسلح الفلسطيني، وجماعة منشقة عن حركة "فتح الانتفاضة" (أبو موسى) التي دعمتها سوريا عام ١٩٨٣ في وجه الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات .

وفي البيان الأول الذي يحمل اسم "فتح الإسلام" شرح فيه (التنظيم) الأطر العامة لحركته، والتي تقوم على "الجهاد لتحرير فلسطين" من منطلقات إسلامية، شاء وضعها في مواجهة الفكر التقليدي لسائر الفصائل الفلسطينية التي اتهمها بالفساد أو العلمانية، على حد تعبيره. و أكد البيان انفصال حركة فتح الإسلام عن حركة "فتح الانتفاضة .

ولقد استطاع التنظيم السيطرة عناصر على مخيم نهر البارد، القريب من شاطئ البحر، وتبلغ مساحته حوالي الـ ١٠٠٠ متر، أحيط بسواتر من الأسمنت المسلح.

وطرح اسم فتح الإسلام بقوة في ١٢ مارس ٢٠٠٧ لاتهامه في تنفيذ تفجير حافلتي ركاب في منطقة عين علق، في بكفيا شرق بيروت، ذهب ضحيتها ثلاثة قتلى والعديد من الجرحى ، حيث تم توقيف بعض المشتبهين، واتهم وزير الداخلية اللبناني حسن السبع صراحة الاستخبارات السورية برعاية التنظيم، قائلاً :

" إن الجميع يعرف من هي الجهة التي تقف وراء ما يسمى بـ'فتح الإسلام' أو 'فتح الانتفاضة'، التي هي جزء من الجهاز الاستخباراتي السوري ."

وبدأت المعارك بين الجيش اللبناني وجماعة فتح الإسلام، الأحد ٢٠ مايو ٢٠٠٧ وهي الأعنف منذ انتهاء الحرب الأهلية في لبنان في عام ١٩٩٠. وتسببت حسب

تقرير وزير الدفاع اللبناني " إلياس المر " قتل ٢٢٢ مسلحا وأسر ٢٠٢ من عناصر فتح الإسلام في حين خسر الجيش اللبناني ١٦٣ جنديا وضابطا خلال معارك نهر البارد . [1]

وتوقف القتال، الذي أدى إلى موجات نزوح خارج المخيم، يوم ٢٢ مايو بهدنة بين الطرفين تسمح لشاحنات الإغاثة بدخول مخيم نهر البارد بطرابلس . وأسفرت المعارك عن قتل بعض قادة "فتح الإسلام" مثل السوري محيي الدين عبد الحي عبود الملقب بـ "أبو يزن" أو أبو مدين الذي كان يتزعم المجموعة التي نفذت جريمة عين علق في المتن الشمالي، واللبناني صدام الحاج ديب المطلوب إلى القضاء الألماني بتهمة الاشتراك في محاولة تفجير القطارين، كما ذكرت المصادر الأمنية اللبنانية لوسائل الإعلام .

ويذكر أن بعض المخيمات الفلسطينية تشهد انتشاراً لتنظيمات متشددة أخرى، سبق وأن اشتبكت مع الجيش اللبناني ومع حركة فتح في مناسبات عدة، وأبرزها تنظيم "جند الشام"، المتمركز في مخيم عين الحلوة، قرب مدينة صيدا الجنوبية، والذي يتردد انه عقد اتفاقاً تنسيقياً مع فتح الإسلام.

موقف الدول والمنظمات من تنظيم " فتح الإسلام "

يعد تنظيم فتح الإسلام تنظيما لقيطا تتبرأ كل الدول والتنظيمات منه بل تحاول الدول والمنظمات أن تتهم خصومها بدعم هذا التنظيم ، ودونك رأي المتهمين بانتساب تنظيم فتح الإسلام لهم .

فالقيادات الفلسطينية تنفي أن تكون الجماعة قد حظيت بأي غطاء فلسطيني في المخيمات، حيث أكد أمين سر حركة فتح في لبنان، سلطان أبو العينين، أن نسبة

([1]) قناة الجزيرة الفضائية في ٤ / ٩ / ٢٠٠٧

obeikandl.com

الفلسطينيين في هذه الجماعة لا يتجاوز خمسة في المائة . وكشف عباس زكي، ممثل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان أن فصائل المنظمة وفي مقدمتها حركة فتح، تعيد ترتيب تشكيلاتها في مخيمات لبنان للتصدي لظاهرة تنظيم "فتح الإسلام" المتشدد، واضعاً تلك الجهود في سياق حماية السلم الأهلي اللبناني .

واعتبر زكي موضوع السلاح الفلسطيني الموجود خارج المخيمات " شأناً سيادياً لبنانياً " ورفض في الوقت عينه تحويل المخيمات إلى ملاجئ للمطلوبين .

ورفض ممثل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بلبنان في حديث لموقع CNN بالعربية اعتبار المخيمات الفلسطينية "ثغرة في جدار السلم الأهلي" مؤكداً عزم الفلسطينيين الموجودين في لبنان العيش بنفس الطريقة التي يعيشون فيها في سوريا والأردن .

وقال زكي : " هناك ما يسمى 'فتح الإسلام' ونحن بصدد محاولة محاصرتهم اجتماعياً وشعبياً بهدف إشعارهم بأنهم ليسوا وحدهم على الساحة ... لدينا وجودنا ونحن سننظم هذا الوجود وسنأخذ احتياطات خاصة ."

وفي حين اتهم وزير الداخلية اللبناني الاستخبارات السورية برعاية التنظيم نفت سوريا بحزم هذه الاتهامات ، مؤكدة أن المجموعة تنتمي إلى تنظيم القاعدة، حيث قال وزير الداخلية السوري، اللواء بسام عبد المجيد، إن 'فتح الإسلام" أحد تنظيمات القاعدة التي تخطط لأعمال إرهابية في سوريا".

وقد وجد هذا الرأي على ما يبدو صداه لدى بعض الأوساط الأمريكية، نظراً للخلفية الفكرية للجماعة ولشخصية زعيمها شاكر العبسي ودوره في اغتيال الدبلوماسي الأمريكي لورنس فولي في الأردن عام ٢٠٠٢.

obeikandl.com

وعزز من شبهة انتساب تنظيم فتح الإسلام للقاعدة لجوء التنظيم إلى استخدام أدبيات القاعدة وشعاراتها وأساليبها الإعلامية، وقد دأب على بث بياناته باستخدام مواقع إلكترونية، غالباً ما تبث بيانات وأشرطة لتنظيمات متشددة، بالتزامن مع تحذير القائد السابق للقوات الدولية العاملة في جنوب لبنان من إمكانية قيام "القاعدة" باستهداف قواته .

وقد أشارت العديد من التقارير إلى ارتباط هذه الجماعة، بجماعة قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين، خاصة أثناء حقبة قيادة أبو مصعب الزرقاوي، حيث كانت تشرف على إمداده بمقاتلين لبنانيين وفلسطينيين .

ولم يصدر عن تنظيم القاعدة ما يؤكد صلته بجماعة فتح الإسلام، على غرار ما حدث مع التنظيمات المتشددة المغربية.

كما أن الجماعة تجنبت الإشارة إلى ما إذا كانت بحق تابعة للقاعدة.

وفي حين تعتبر السلطة اللبنانية تنظيم فتح الإسلام دليلاً على التورط السوري في الشأن الداخلي، من باب زعزعة الأمن.تعتبرها المعارضة دليلاً على وجود تطرف سني في لبنان مرتبط بتنظيم" القاعدة"، ازدادت قوته مع حالة "الشحن المذهبي" الذي تعيشه هذه الطائفة بعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري، وتراخي القبضة الأمنية المركزية للدولة تجاه تلك الظواهر في مواجهة النفوذ الشيعي المسلح لحزب الله.

وبين إصرار الحكومة اللبنانية على دور الأمن السوري في إخراج شاكر العبسي السريع من السجن، و"تسريبه" عبر الحدود باتجاه لبنان مع عناصره المتشددة، وبين اتهام المعارضة للحكومة، بغض الطرف عن بعض الظواهر السنية المتشددة في مواجهة النفوذ المسلح للشيعة، يدفع الأمن اللبناني الداخلي الفاتورة الأكبر .

المقاومة الفلسطينية والجنوب اللبناني

ويمكن أن نميز مراحل أربع مر بها الجنوب اللبناني :

المرحلة الأولى : هي المرحلة التي سبقت دخول المقاومة الفلسطينية المسلحة إلى لبنان ، كان الفلسطينيون موجودون " كلاجئين " يعيش معظمهم داخا المخيمات البائسة ، وكان هناك نوع من وحدة الحال تربطهم مع اللبنانيين من أهل الجنوب الذين كانوا هم أيضا من التخلف والاستغلال والفقر .

في تلك المرحلة وفي الوقت الذي كانت إسرائيل فيه تبني آلتها العسكرية الهائلة ، كان لبنان يتبنى السياسة التي يعبر عنها القول المأثور " إن قوة لبنان في ضعفه " وظلت الأطماع الإسرائيلية – وفقا لهذه السياسة – في الجنوب اللبناني خطرا مستبعداً ، وإن كان يحوِّم باستمرار في الأفق .

ظل الجنوب اللبناني يعيش في تلك المرحلة حياة آمنة مستقرة حتى كانت الحرب سنة ١٩٦٧التي زلزلت هذا الاستقرار ، وأشاعت الخوف والفزع والدمار .

المرحلة الثانية : وهي التي أعقبت حرب ١٩٦٧ ، وشهدت صدام المقاومة الفلسطينية مع السلطة في الأردن عام ١٩٧٠ ، وانتقالها إلى لبنان عام ١٩٧١ ، وتتجلى أهمية هذه المرحلة في أنها شهدت أول أزمة حكم في لبنان بسبب انقسام اللبنانيين حول المقاومة الفلسطينية ودورها ، وما إذا كان يتعين تركها للعمل انطلاقا من الأراضي اللبنانية ، كما أن هذه المرحلة شهدت مولد أول اتفاق رسمي بين الدولة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية (اتفاق القاهرة) ، كما شهدت تصعيد " العربدة الإسرائيلية " في لبنان الذي كان للجنوب النصيب الأكبر من الاعتداءات : قصف ، وغزوات الكوماندوز ، وعمليات الإنزال البحري ، والتحليق الجوي ..

كما شهدت هذه المرحلة أول صدام بين الجيش اللبناني والمقاومة عام ١٩٧٣ ، والتي عرفت فيما بعد بـ " عملية فردان " ، والتي ترتب عليها توثيق التحالف بين المقاومة الفلسطينية ، وأحد طرفي الصراع الرئيسيين في لبنان ، وخروج العناصر الفلسطينية المسلحة من المخيمات متجاهلة الاتفاقات مع الدولة اللبنانية وانتشارها في مناطق لبنانية عديدة الأمر الذي أصبح مثار شكوى مرَّة خاصة مع ما رافقه من ارتكاب " التجاوزات " من قِبَل الدولة والطرف اللبناني المعادي للوجود الفلسطيني .

المرحلة الثالثة : وهي مرحلة الحرب الأهلية التي أشعل فتيلها مقتل ٢٦ فلسطينيا على أيدي مسلحي حزب الكتائب (المسيحي) ، وعملت الحرب الأهلية على تعميق الانقسام بين الطوائف المختلفة ، وازداد التفسخ إلى حد إقدام بعض عناصر الميليشيات الكتائبية – مبكرين – على إشهار تعاونهم مع إسرائيل التي لم تتوان – بالطبع – عن انتهاز الفرصة السانحة فبدأت تعمل على ترتيب الأوضاع في الشريط الملاصق لحدودها داخل الأراضي اللبنانية على النحو الذي يلائمها ، وفي طريقها إلى ذلك أخذت تعمل على زيادة حالة الفوضى ، والإبقاء على الفتنة مشتعلة باستمرار ،وفي تلك المرحلة بدا أهالي الجنوب " يتململون " من وجود المسلحين الفلسطينيين وممارساتهم المزعجة وتجاوزاتهم التي زادت عن حدها في خضم الفوضى الشاملة ، وهو شعور أخذ يتنامى تدريجيا خاصة بعد غزو القوات الإسرائيلية للبنان مرتين " بسبب الفلسطينيين " في عملية " الليطاني " عام ١٩٧٨ ولا ، ثم بالغزو الشامل عام ١٩٨٢ ، وكان أن غُرست في تلك الفترة البذور التي أثمرت فيما بعد " اضمحلال " التعاطف التقليدي مع المقاومة الفلسطينية ، إلى حد أنه أصبح ممكنا فيما بعد ف الثمانينات أن تقدم حركة أمل الشيعية اللبنانية على محاصرة مخيمات الفلسطينيين وتجويعها وقصفها بالدافع والصواريخ .

المرحلة الرابعة : وهي الأطول زمنا حيث تمتد من نهاية حرب السنتين عام ١٩٧٦وإلى خروج إسرائيل من لبنان عام ٢٠٠٠ وأوضح ملامح هذه المرحلة هي سيطرة إسرائيل وإعلاء كلمتها في الجنوب اللبناني ، ولقد كانت عملية الليطاني التي نفذتها القوات الإسرائيلية في مارس ١٩٧٨ هي مجرد الخطوة الأولى من جانب إسرائيل في سبيل هذه السيطرة ذلك أن هذا الغزو هو الذي مهد لإنشاء " الحزام الأمني " الذي سلمته إسرائيل لعميلها الرائد " سعد حداد " وقواته لكي يتولى – تحت رقابتها وبتوجيهها – مسئولية التصدي لأي عمل يمكن اعتباره تهديدا لأمن الجليل ، من جهة النظر الإسرائيلية ، أو المستعمرات المقامة في شمال إسرائيل .

وظل سعد حداد إلى أن مات في إحدى المستشفيات الإسرائيلية ، ويؤدي هذه المهمة في منطقة تمتد على طول حدود لبنان الجنوبية وبعمق – داخل الأراضي اللبنانية طبعاً – يبلغ متوسط سبعة كم ، ولم يكتف سعد حداد ، الذي خلفه بعد موته ضابط لبناني منشق آخر هو " أنطوان لحد " بمجرد التصدي ، وإنما كان يعمد إلى تنفيذ التعليمات الإسرائيلية بالمشاركة في قصف المخيمات والمواقع الفلسطينية وكذلك المدن والقرى اللبنانية ، في كل أنحاء الجنوب ، بحجة الرد على عملية فلسطينية أو للتمهيد لغارة أو عملية إسرائيلية أو بافتعال أية ذريعة كالضغط لإرغام الحكومة اللبنانية على دفع رواتب جنوده – والذين كان قسم كبير منهم من جنود الجيش اللبناني النظامي – أو المطالبة بمد منطقته بالتيار الكهربي ... إلى غير ذلك من أسباب ، وظلت المليشيات الحدودية ، التي ارتضت لنفسها أن تكون " جدارا لبنانيا " يحمي إسرائيل على حساب سيادة لبنان وسلامته وحتى بعد خروج المقاومة الفلسطينية عام ١٩٨٢ تقوم بمهمتها في منطقة الحزام الأمني كما حددتها إسرائيل ، وأكدت الأحداث والمعلومات اشتراك رجال هذه الميلشيات في العمليات التي كانت إسرائيل

تقوم بها والتي تتوغل خلالها داخل الأراضي اللبنانية ، بل إن سعد حداد قائد الميلشيات الموالية لإسرائيل لم يتورع أن يعلن أنه سيقاوم دخول الجيش اللبناني إلى الجنوب ، وأنه سيتصدى له بالقوة !! ([1])

جناية المقاومة الفلسطينية على لبنان

ولقد جنت المقاومة الفلسطينية على لبنان بالآتي :

١- بثقل قضيتها الشائكة ، وبوجودها المسلح الذي لا يتحمله كيان لبنان الهش ولا تركيبته السكانية الطائفية ، وبتحولها إلى " دولة داخل الدولة " بكل المعنى الحرفي للعبارة : دولة لها رعاياها ، وجيشها ، وجهازها الأمني ، وميزانيتها الضخمة ، ولها حتى " السيادة " على بعض المناطق ، وعلى الرغم من أن قيادة المقاومة كانت لا تقر علناً بوجود هذه السيادة أو تدعيها إلا أن أي لبناني عادي – فضلا عن اللبناني الحزبي أو المسئول الحكومي – كان يعرف جيدا معنى أن يطلق على المناطق التي توجد فيها المقاومة المسلحة في الجنوب اللبناني اسم " فتح " .

٢- كذلك جنت المقاومة على لبنان عندما لم تبذل الجهد الكافي لتجنب التورط في الصراع بين اللبنانيين .

٣- كذلك جنت المقاومة على لبنان عندما تركت عناصرها متسيبة في الجنوب اللبناني ، وبيروت الغربية خاصة ، فانتهز البعض فرصة هذا التسيب لارتكاب مختلف أنواع الجرائم والموبقات بدءاً من السرقة والاغتصاب واحتلال البيوت ، وانتهاء بتجارة السلاح والكسب غير في أنواع من التجارة المحرمة التي كانت متاحة في لبنان ، ومرورا بأعمال القتل والخطف والتعدي من كل لون .

([1]) راجع مشكلة الجنوب اللبناني كتاب " لبنان إنهيار أم انتحار " محمود أحمد .

obeikandl.com

أما تأثير المقاومة الفلسطينية على السياسة اللبنانية فقد كان كبيرا إذ استقر في أذهان فريق من اللبنانيين – إثر نشوب الحرب الأهلية وتورط الفلسطينيين فيها – قناعة بوجود مؤامرة دولية لتهجير اللبنانيين – خاصة الموارنة– من بلدهم لبنان وإحلال الفلسطينيين محلهم ، باعتبار أن ذلك يمثل الحل الوحيد الباقي لمشكلة الشرق الأوسط .

جناية لبنان على المقاومة الفلسطينية

وكما جنت المقاومة على لبنان جنت لبنان على المقاومة الفلسطينية عندما :

١– نقلت إليها عدوى الانحلال والتفكك التي أفسدت " الثورة " واجتذبت المقاتلين إلى مغريات الحياة الناعمة بعيدا عن النضال والفدائية .

٢– كذلك جنت لبنان على المقاومة بجرها إلى مياه السياسة اللبنانية العكرة ورمالها المتحركة ، وحوَّل جانبا كبيرا ورئيسيا من اهتمامها وطاقتها عن الهدف الرئيسي ودفعها دفعا إلى التورط في القتال ، كما فرض عليها ضعف سلطة الدولة أن توجه قدرا لا يستهان به من جهدها العسكري لحماية نفسها من الهجمات المسلحة من جانب فريق من اللبنانيين ، في وقت كان يتعين عليها فيه التصدي باستمرار للاعتداءات الإسرائيلية التي لم تكن تتوقف على المخيمات والمواقع في الجنوب وبيروت .

٣– وجنت لبنان على المقاومة عندما أقام فريق من اللبنانيين اتصالات – تحولت إلى تحالفات – مع العدو الرئيسي للمقاومة وهو إسرائيل ، مما كان لابد وأن يدفع قيادة المقاومة إلى الإمعان في خصومتها لذلك الفريق اللبناني والتورط على نحو أكثر خطورة في الصراع الدائر على أرض لبنان .

٤– جنت لبنان على المقاومة بجعل تغلغل جواسيس إسرائيل إلى مواقع وجود المقاومة وقيادتها بل واختراق صفوفها أيضا أمرا ميسورا في كل وقت ، وقد مكن ذلك

أجهزت المخابرات الإسرائيلية من أن تقوم بعمليات ألحقت بالمقاومة أبلغ الضرر ، بدءاً من عملية الفردان عام ١٩٧٣ ، وحتى الغزو الشامل الذي أجبر المقاومة في النهاية – قيادة ومقاتلين – على الخروج من بيروت في عام ١٩٨٢.[1]

مشكلة الجنوب اللبناني

لقد كان جنوب لبنان – ولا يزال هو الضحية الدائمة – في هذه الدراما اللبنانية الرهيبة ، فقد عاش سكانه – المسلمون الشيعة – محملين بأثقال الفقر والجهل والتخلف ، وعاشوا هدفا للمطامع الإسرائيلية في أرضه ومياهه ، ثم جاءت مشكلة الوجود الفلسطيني : اللاجئون الفلسطينيون (ابتداء من سنة ١٩٤٧) ، ثم المقاومة الفلسطينية (١٩٧١) ليتحول الجنوب اللبناني إلى بركان لا يكاد يهدأ حتى يثور فقد استغلت إسرائيل انطلاق العمل الفدائي الفلسطيني من الجنوب اللبناني ذريعة ليس فقط لشن الغارات الدورية بل السعي الدءوب لضم الجنوب فلم يتوقف احتلال إسرائيل سنة ١٩٦٧ في العرقوب على "المزارع" وحدها، فقد امتدت إلى غير منطقة من "العرقوب": إضافة إلى منطقة "مشهد الطير". ويأتي "جبل الروس" في طليعة تلك المواقع من حيث الأهمية العسكرية، بجانبه الشرقي التابع لسوريا وبجانبه الغربي التابع للبنان، والذي يشرف على الجنوب اللبناني حتى البحر. وقد شهد هذا الجبل معارك قاسية بين الجيشين السوري والإسرائيلي خلال معارك الثمانين يوماً التي أعقبت حرب ١٩٧٣.

وفي غمرة المواجهة الإسرائيلية السورية سنة ١٩٧٣، اقتطعت إسرائيل في مرتفعات "جبل الشيخ" العديد من المواقع اللبنانية ، سنة ١٩٧٥ تقدمت إسرائيل شمالي شرق

([1]) لمزيد من التفاصيل حول علاقة لبنان والمقاومة الفلسطينية انظر الفصل الرابع من كتاب " لبنان انهيار أم دمار ؟ " محمود أحمد .

"كفر شوبا" من جبل "الشميس" الذي يشرف على عموم القطاع الشرقي. وباحتلاله صارت "كفر شوبا" في وضع عسكري بالغ الحرج، وصارت سائر منطقة "العرقوب" و"مرجعيون" تحت التهديد الجدي.هذه الأراضي المقتطعة من "العرقوب" (خارج حالة المزارع)؛ كانت قد تكرّست، أمام الدوريات الإسرائيلية، ميداناً حراً بدءاً من سنة ١٩٧٥.

وهكذا قدر للجنوب أن يظل يعاني من كل أمراض لبنان ويحمل كافة أزمته ، ومرورا بالمشاكل الناجمة عن الطائفية ، والخلافات السياسية ، والتسيب والفساد ن واستشراء الإقطاع السياسي ، والتمدد الفلسطيني ، والفوضى المسلحة ، وغياب الدولة، وعجزها عن علاج يضع حدا للمأساة ، وانتهاء حتى بالعجز " الدولي " الذي تجلى خصوصا في عدم قدرة قوات الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة والعاملة في جنوب لبنان منذ عام ١٩٧٨ عن درء الأخطار عنه وتوفير ولو حد أدنى من الحماية والأمن لحدوده وسكانه .

موقف منظمة التحرير من التسوية السلمية

كانت منظمة التحرير الفلسطينية تدعو إلى إقامة دولة علمانية ديمقراطية في فلسطين يتمتع فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون بالحقوق والواجبات ، الأمر الذي كانت ترفضه إسرائيل لما يعنيه من القضاء سياسي على الدولة اليهودية ، ثم بدأ موقف المنظمة يتطور بعد الأخذ بفكرة عبر عنها " نايف الحواتمة " عن إنشاء سلطة وطنية على أرض فلسطين .

وقد وافق المجلس الوطني الفلسطيني في اجتماعه يوم ٨ يونيو ١٩٧٤ على الفكرة وقرر إقامة سلطة وطنية على أي جزء يتم تحريره من الأراضي الفلسطينية وهي الفكرة التي طرحها عبد الناصر واتهمته فيها منظمة التحرير الفلسطينية وحزب البعث السوري بالخيانة !

لقد أيقنت منظمة التحرير الفلسطينية بعد طول مقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي ابتداء من (١٩٦٥ – ١٩٦٧) في فلسطين ، ومن (١٩٦٧– ١٩٧٠) في الأردن، ومن (١٩٧٠ – ١٩٨٢) في لبنان ، ومن (١٩٨٢ – ١٩٩٤) في تونس ، أيقنت أن عليها أن تعدل من مسارها وتتخلى عن شعاراتها السابقة التي عرفت باللاءات الثلاثة (لا صلح ، لا اعتراف ، لا مفاوضة) مع إسرائيل ، ووجوب تحرير أرض فلسطين من البحر إلى النهر (أي من البحر المتوسط إلى نهر الأردن) أيقنت أن هذه الشعارات لا تتناسب تماما مع ميزان القوى الإقليمية الذي هو في صالح إسرائيل ، ولا مع ميزان القوى العالمي الذي هو في صالح أمريكا حليفتها ، ولا مع الخلافات العربية / العربية التي مزقت العرب وبددت قوتهم .

لم يحقق لها شيئا بل سببت مشاكل كثيرة لها وللدول العربية التي لجأت إليها فقررت أن تتخذ من العصيان المدني (أطفال الحجارة) وسيلة للوصول إلى تسوية سلمية ،.وكانت تجربة الحرب الإسرائيلية الفلسطينية الشاملة في بيروت قد لقنتهم درسا مرا فقد ظل خلالها الفلسطينيون وحدهم مع عناصر المقاومة الوطنية اللبنانية يقاتلون الغزو الإسرائيلي على امتداد ٨٨ يوما وذلك قبل أن يتم في أجواء توافق دولي عربي إسرائيلي نفي منظمة التحرير وكوادرها من منطقة الصراع العربي الإسرائيلي في المشرق العربي إلى تونس في المغرب العربي ، وتشتيت مقاتليها وفدائيها ما بين اليمن والعراق والجزائر .

وفي الفصل التالي سوف نعرض لنهج منظمة التحرير في استخدام الانتفاضة وسيلة للوصول إلى تسوية سلمية مع إسرائيل .

***

obeikandl.com